الأحداث التى تعرضت لها كنيسة الإسكندرية

من خلال كتاب يوسيبيوس القيصرى "تاريخ الكنيسة"

أميرة قاسم الحدينى•

يدور موضوع هذا البحث حول الأحداث التى تعرضت لها كنيسة الإسكندرية من خلال كتاب يوسيبيوس القيصرى (تاريخ الكنيسة)، وقد اعتمدت فى هذا البحث على ما ورد عند يوسيبيوس من وصف للاضطهاد الذى اتبعه الأباطرة الرومان ضد العقيدة المسيحية واتباعها فى كل مكان فى الإمبراطورية وبخاصة فى مدينة الإسكندرية، وكيف تعرضت كنيستها للكثير من الاضطهاد بسبب تمسكها بتعاليم وقواعد عقيدتها.

وينقسم موضوع البحث إلى ثلاثة محاور رئيسية:

المحور الأول: وتناولت فيه الحديث عن الأباطرة الذين تم فى عهدهم الاضطهاد ضد العقيدة المسيحية؛ فقد شهدت المسيحية فى عهد الإمبراطور سيفيروس الإسكندر (٢٢٢- ٢٣٥م) اضطهاداً شديداً ضد الكنائس، وراح العديد من الشهداء المسيحيين ضحية هذا الاضطهاد. هذا إلى جانب الإمبراطور دقيوس (٢٤٩- ٢٥١م) والذى شهد له المؤرخون سواء المعاصرون له أم الذين جاءوا بعد ذلك وعلى رأسهم يوسيبيوس أنه تم فى عهده أشرس وأعنف اضطهاد شهدته العقيدة المسيحية فى تاريخها. واستمر هذا الاضطهاد فى عهد الإمبراطور فاليريانوس (٢٥٣- ٢٦٠م) والذى اتبع أسلوب وحشى فى معاملة مسيحى الإسكندرية وبخاصة رجال الدين والكنيسة.

وكما تحدثت فى المحور (العنصر) الأول عن الأباطرة واضطهادهم للمسيحية فإننى سوف أنتقل فى **المحور الثانى** للحديث عن فئات المضطهدين فى الإسكندرية وموقفهم من الاضطهاد، فالاضطهاد شمل كافة الفئات، فهو لم يفرق بين جنس أو جنسية حيث شمل الرجال والنساء، الشيوخ والشباب، ووصل حتى للأطفال فى بعض الأحيان، كذلك لم يفرق فى الجنسية بين مصرى أم يونانى، وعانى من الاضطهاد والتعذيب كل الفئات على حد سواء من رجال الدين أو النساك ومن المواطنين العاديين، من أصحاب المراكز والأثرياء ومن الفقراء البسطاء، وكيف تحمل هؤلاء

• مدرس بقسم الآثار والدراسات اليونانية والرومانية كلية الآداب – جامعة الإسكندرية

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

على كافة المستويات هذا الاضطهاد بكل صبر وإيمان ولم يزدهم ذلك إلا تمسكاً بإيمانهم، حتى مَنْ كان يضعف منهم كان يستغفر قبل أن يموت.

وبعد الإشارة إلى فئات المضطهدين وموقفهم أنتقل إلى **المحور الثالث** والاخير وهو يشير إلى الطرق والأدوات التى كان يستخدمها جنود الأباطرة فى اضطهادهم ضد المسيحيين، فهم لم يتركوا وسيلة إلا واتبعوها فى تعذيبهم للمسيحيين سواء بالنار أو بالجلد أو بالسيف، وحتى أنهم كانوا من شدة قسوتهم يخترعون طرقاً وآلات جديدة للتعذيب ليضغطوا بها عليهم (المسيحيين) حتى يتخلوا عن إيمانهم، ويتركوا عقيدتهم ويتبعوا العقيدة الأساسية للإمبراطورية وهى الوثنية.

وقد اعتمدت فى كتابة هذا البحث على عمل يوسيبيوس (تاريخ الكنيسة) "Historia Ecclesiastica". وقد انتفعت كذلك بالآراء التى وجدتها فى العديد من المراجع الحديثة التى تحدثت عن بعض النقاط التى عالجها يوسيبيوس فى ذلك العمل؛ فقد ساعدتنى هذه الآراء فى توضيح بعض الجوانب التى تعرض لها يوسيبيوس فى عمله سواء اتفقت مع الآراء المذكورة أو اختلفت معها.

المقدمة:

شهدت العقيدة المسيحية فترة اضطهاد شديدة على يد الأباطرة الرومان فى الفترة الأولى بعد ظهورها، فقد تتبع الأباطرة الرومان المسيحيين بالاضطهاد فى جميع الأماكن التى انتشروا فيها، وذلك محاولة منهم للقضاء على هذا الدين الجديد، وعلى قوة أتباعه؛ الذين كانوا يمثلون خطراً على سياسة الإمبراطورية الرومانية ــ يبدو أن اضطهاد المسيحيين كان بمثابة الطريقة المنطقية بالنسبة للرومان لكى يتغلبوا على مشاكلهم حيث أنه كان جزءاً من السياسة الإمبراطورية للحفاظ على كيانها[1]، وذلك من حيث أن أتباع هذا الدين الجديد، قد نظروا إلى العقيدة الوثنية على أنها شر، كما نظروا إلى أنفسهم على أنهم مخلصين للمجتمع من هذا الشر، كما سنرى بعد قليل، وهو أمر رأى المسئولون الرومان أنه يشكل خطر على الإمبراطورية ــ ومن هنا كانت بداية الاضطهاد ، ومن أشهر الأماكن التى تعرض فيها هذا الدين الجديد وأتباعه للاضطهاد هو مدينة الإسكندرية حيث كثر فيها الشهداء المسيحيون من كل الفئات

(١) وصف الاضطهاد هو مصطلح استخدمه المسيحيون لوصف الجهود التى تم بذلها لإبعادهم أو لإخمادهم عن عبادتهم. راجع:
Christopher S. Mackay: Ancient Rome (A military and Political History), Cambridge University Press, 2007, p. 287; Earle E. Coirns: Christianity Through the Centuries: A History of the Christian Church, Zondervan Publishing, 1996, p. 90.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

سواء كانوا نساكاً (أى من رجال الكنيسة) أم مواطنين عاديين. رجالاً كانوا أم نساءً وقد تحدث العديد من المؤرخين فى كتاباتهم عن هؤلاء النساك المسيحيين؛ فعلى سبيل المثال وردت الإشارة عند فيلون العبرى[٢] فى كتابه "فى حياة التأمل" (βίου θευ ρητικου) أو "فى المتضرعين" " ικετων" عن النساك رجالاً ونساءاً حيث يقول "إن هؤلاء الرجال كان يُدعون أطباء (شافيين) (θεραπευτας)، وأن النساء تُدعين (شافيات) أو طبيبات[٣] (θεραπευτρίδας)، وبعد ذلك أضاف أسباب التسمية مفسراً إياها من هذه الحقيقة، إنهم كانوا يعالجون ويشفون نفوس (أرواح) الذين كانوا يأتون إليهم، بإسعافهم كأطباء وإنقاذهم من الشهوات الفاسدة، (التى ربطوا بينها وبين الوثنية)، أو أنهم كانوا يعبدون الله ويخدمونه بطهارة وإخلاص[٤] (ومن ثم لا يعبدون الإمبراطور الرومانى).

"της περὶ τὸ θειον καθαρας καὶ εἰλι κρινους θεραπείας τεκαι θρησκειας ἐνεκα "

وعن الأماكن التى يمكن أن يتواجد فيها هذا الجنس (المسيحيون ونسّاكهم) فإن فيلون يضيف الوصف التالى قائلاً:

"وفى كل مكان فى العالم يوجد هذا الجنس"[٥]

"πολλαχου μὲν ουν της οἰκουμένης ἐστὶν τὸ γένος ".

على أن هذا الجنس يكثر فى مصر بنوع أخص فى كل أقاليمها لاسيما (وخاصة) نواحى الإسكندرية"[٦].

"των ἐπι καλουμένων νομων καὶ μάλιστα περὶ τὴν Αλεξάνδρ ειαν".

---

(2) Eusebius, H. E., II, 17.
(3)Ibid., II, 17.
(٤) ويحمل الأصل اليونانى لكلمتى "أطباء وطبيبات" معنى العبادة (الخدمة) أو الطب (الشفاء)، وسواء كان فيلون نفسه هو الذى أطلق عليهم هذا الاسم، مستعملاً لقبا يتفق مع طريقة حياتهم، أو أن أول شخص بينهم هو الذى أطلق عليهم هذا الاسم فى البداية لأن الاسم "المسيحيين" لم يكن معروفاً فى كل مكان.
Eusebius, II, 17؛ مرقس داود، تاريخ الكنيسة، مكتبة المحبة، ط ٣، ١٩٩٨، ص ٧٤.
(5)Eusebius, II, 17.
(6) Ibid., II, 17.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ولكن لم تبق الحياة هادئة بالنسبة لهؤلاء. فقد وصلت أيدى الاضطهاد لجميع المواطنين فى الإسكندرية؛ بعد أن شملت كافة الفئات نسّاكاً ومواطنين عاديين حيث كثُر فيها الشهداء، وانتشر جنود الأباطرة يعذبون المسيحيين فى كل مكان وكان هذا التعذيب مصحوباً بالسلب والنهب، وكثرت كتابات المؤرخين حول هذه الفترة من الاضطهاد؛ ومن أشهر هذه الكتابات كتاب (تاريخ الكنيسة)[٧] الذى وضعه مؤرخ دينى عاش فى الفترة من (٢٦٠، ٢٦٤ - ٣٤٠م) هو يوسيبيوس القيصرى[٨] والذى يُعتبر من أقدم المؤرخين وأسبقهم فى هذا المجال[٩].

اعتمد يوسيبيوس فى معلوماته التى حصل عليها على مكتبته التى قام بتجميعها من أعمال كل من الإسكندر أسقف أورشليم وأوريجينيس ومن السداسية[١٠].
ويعتبر عمل يوسيبيوس (تاريخ الكنيسة) هو المصدر الوحيد الكامل عن تاريخ الكنيسة[١١].
كما اعتمد يوسيبيوس فى كتاباته[١٢] الخاصة بتاريخ الكنيسة على كتابات السابقين له أمثال:

يوليوس أفريكانوس[١٣] (Julius Africanus) وآخرين[١٤] معاصرين له أمثال جوزيفوس، جستين، ديونيسوس السكندرى، وبفضل ذلك أخرج يوسيبيوس عملاً منظماً لكل الأحداث والتواريخ التى حدثت فى العالم سنة بسنة.

---

(٧) وقد كان عمل يوسيبيوس (تاريخ الكنيسة) بمثابة (حجر الأساس) الذى اعتمد عليه المؤرخون اللاحقون فى كتاباتهم عن تاريخ الكنيسة. راجع:
Flavius Josephus, The New Complete Works of Josephus, (Translation by) William Whiston, Kregel Publications, 1999, p. 9; Jonathan Harris: Byzantine History, Polgrave Macmillan, 2005, p. 10; Christopher S., op. cit., p. 369.

(٨) VII, 26, 31; V, 28; III, 28; Eusebius, Introduction, p. IX؛ ويوسيبيوس باليونانية تعنى (التقى) وقد عُرف بأنه من أشهر المؤرخين الكنسيين حتى أنه يستحق لقب "أبو تاريخ الكنيسة" مثلما أخذ هيرودوت لقب 'أبو التاريخ'. راجع:
Earle Coirns, op. cit., p. 136; Flavius Josephus, op. cit., p. 10; Marcel Le Glay, A History of Rome, 3rd ed., Blackwell Publishing LTD, 2005, p. 548.

(9) Confield, Leon hardy, The Early Persecutions of the Christians, New York, Columbia University Press, 2005, p. 54.

(10) Eusebius, Intro., p. X; VI. 32.

(11) Ibid., op. cit., p. XIII.

(١٢) تأثر يوسيبيوس فى كتاباته بجانب السابقين له بالصراع الأريوسى فى هذه الفترة والتى كانت مصدراً لإلهامه. راجع: Marcel Le Glay, op. cit., p. 496.

(13)Eusebius, Intro, p. XVII.

(14)Flavius Josephus, op. cit., p. 16.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

قام يوسيبيوس فى كتابته لهذا العمل(تاريخ الكنيسة)والمكون من عشر كتب[١٥] بوصف "الشهداء المسيحيين"فى عصره والصعاب التى قاسوها وتحملوها بكل صبر وإيمان. بالإضافة لعمل يوسيبيوس(تاريخ الكنيسة) قام يوسيبيوس بكتابة أعمال أخرى يمكن أن نقسمها إلى قسمين:ففى القسم الأول من حياته اهتم بكتابة أعمال يرد فيها على الكتّاب الوثنيين الذين كانوا يكتبون ضد العقيدة المسيحية ومن أشهر هذه الأعمال كتابه:

(الرد على هركليس)، والعمل الثانى يتبع فيه نفس الطريقة فهو يرد فيه على أحد الكتّاب الوثنيين وهو بورفيرى[١٦] (Porphyry)، هذا بالإضافة إلى أعمال أخرى كثيرة قام يوسيبيوس بكتاباتها فى القسم الأول من حياته ويشير فيها إلى أن تعاليم المسيحية ليست جديدة ولكن الجديد هو الكنيسة، وانتشار نفوذها[١٧].

أما عن السنوات الأخيرة أو القسم الأخير من حياة يوسيبيوس فقد قضاها فى كتابة مقالين وهما:

"ضد ماركللوس"[١٨] أو "Contra Marcellum". والمقال الثانى بعنوان:

"De Ecclesiastic Throlegia"[١٩] وكلا المقالين نُشر بعد عام ٣٣٥م. هذا بجانب أعمال أخرى كثيرة قام بكتابتها فى القسم الأخير من حياته[٢٠].

توفى يوسيبيوس فى ٣٠ مايو فى عام ٣٣٩ أو ٣٤٠م[٢١].

---

(١٥) وعن تقسيم كتاب (تاريخ الكنيسة) ليوسيبيوس راجع:
Flavius Josephus, op. cit., p. 15.

(١٦) بورفيرى هو كاتب وثنى عاش فى قيصرية، وكان يهاجم فى كتاباته المسيحية وأتباعها. راجع:
Eusebius, intro., p. XIV.

(١٧) وعن الأعمال الأخرى التى قام يوسيبيوس بكتابتها فى القسم الأول من حياته. راجع:
Eusebius, op. cit., p. XVII, XVIII, XIX, XX, p. XV.
(18)Ibid., op. cit., p. XXVI.
(19)Ibid., op. cit., p. XXVI.

(٢٠) وعن الأعمال التى كتبها يوسيبيوس فى القسم الأخير من حياته. راجع:
Ibid., op. cit., p. XXVI; Flavius Josephus, op. cit., p. 12.

(٢١) وقد أشار إلى ذلك التاريخ سقراط فى عمله (تاريخ الكنيسة) من ضمن الأحداث التى حدثت فى عامى ٣٣٩، ٣٤٠م؛ وبذلك فإنه من المحتمل أن وفاه يوسيبيوس كانت فى هذه الفترة. راجع:
Socrates, H. E., II. 4; Eusebius, intro., p. XIII.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

١ - الآباطرة الذين تم فى عهدهم الاضطهاد:

كان الآباطرة الرومان يمثلون الراعى الرئيسى للاضطهاد الذى شهدته العقيدة المسيحية وأتباعها فى أثناء الفترة الأولى بعد ظهورها، فقد اهتم هؤلاء الآباطرة بتتبع المسيحيين واضطهادهم فى جميع الأماكن التى انتشروا فيها، وحاولوا نشر عقيدتهم الجديدة من خلالها. وذلك محاولة منهم (الآباطرة) للقضاء على هذا الدين الجديد وعلى قوة أتباعه الذين كانوا يمثلون ــ من وجهة نظر الآباطرة الرومان ــ خطراً[٢٢] على سياسة الإمبراطورية الرومانية.

كانت مدينة الإسكندرية من أشهر الأماكن التى تعرض فيها هذا الدين الجديد وأتباعه للاضطهاد، فقد كانت مسرحاً لجثث العديد من الشهداء المسيحيين نتيجة للاضطهاد الذى مارسه الآباطرة الرومان ضدهم. ومن الآباطرة الذين شهد مسيحيّو الإسكندرية فى عهدهم الاضطهاد والتعذيب على أيدى جنودهم كان الإمبراطور سيفيروس الإسكندر، ودقيوس وغيرهم آخرون. وسوف أستعرض بعضاً من نماذج الاضطهاد الذى ذكره يوسيبيوس فى عهد هؤلاء الآباطرة.

أ- الإمبراطور سيفيروس الإسكندر (٢٢٢- ٢٣٥م):

وأول الآباطرة الذين ذكرهم يوسيبيوس فى صدد هذا الاضطهاد هو الإمبراطور سيفيروس الإسكندر[٢٣]. ففى عهد هذا الإمبراطور انتشر الاضطهاد للدين الجديد وأتباعه[٢٤] فى كل أرجاء الإمبراطورية وبصفة خاصة فى الإسكندرية[٢٥]؛ وذلك عندما بدأ سيفيروس يضطهد الكنائس، وهنا نجد أبطال المسيحية يقدمون شهادات مجيدة فينالوا لقب أبطال الله، وينالوا الأكاليل من الله بصبرهم واحتمالهم التعذيب الشديد وكل أنواع الموت[٢٦] ، ومن أشهر من راحوا ضحية هذا الاضطهاد الشرس الذى حدث فى عهد الإمبراطور سيفيروس هو ليونيديس والد أوريجانوس، والذى وصل درجة اضطهاده وتعذيبه إلى قطع رأسه بينما ابنه لا يزال حديث السن[٢٧].

---

(22) Marcel Le Glay, op. cit., p. 90; Christopher S. Mackay, op. cit., p.287.

(23)Eusebius, VI, 1.

(٢٤) اهتم الإمبراطور سيفيروس الإسكندر بعبادة كل الآلهة، وبجانب ذلك عبادة الإسكندر الأكبر، وكان يتم عبادتهم فى داخل القصر الإمبراطورى. راجع:

Marcel Le Glay, op. cit., p. 391; Michael Grant: The Roman Emperors (A biographical Guide to the Rulers of Imperial Rome (31 B. C.- AD 476), Phoenix Press, London, 1997, p. 134.

(25) Marcel Le Glay, op. cit., p. 395.

(26)Eusebius, VI, 1.

(27) Ibid., op. cit., VI, 1.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ب- الإمبراطور دقيوس (٢٤٩- ٢٥١م):

ويشير يوسيبيوس فى حديثه عن الاضطهاد إلى إمبراطور اخر وهو الإمبراطور دقيوس [٢٨] ، فقد كان هذا الإمبراطور فى موقفه ضد المسيحية على النقيض تماماً من الإمبراطور الذى سبقه وهو الإمبراطور فيليب العربى (٢٤٤- ٢٤٩م) والذى وفقاً لما ورد عند يوسيبيوس كان أول إمبراطور مسيحى[٢٩] فى روما فقد كان متسامحاً [٣٠] مع المسيحيين ، وهو ما رآه كذلك ديونيسوس المعاصر له والذى كان أسقف كنيسة الإسكندرية فى ذلك الوقت ، حيث قال إن الإمبراطور قدم كل ما فى استطاعته لكى يمحو هذا الظلم وسوء المعاملة الذين كانا جزءاً من سياسة الأباطرة فى ذلك الوقت [٣١] أما عن الإمبراطور دقيوس فقد شهد له المؤرخون سواء المعاصرون له أم المحدثون أنه تم فى عهده أشرس وأعنف اضطهاد شهدته العقيدة المسيحية [٣٢] فى تاريخها فقد شمل اضطهاده كل أتباع المسيحية [٣٣] ، سواء كانوا من رؤسائها ودعاتها أم من المؤمنين بها. فقد كان دقيوس غاضباً من سياسة التسامح[٣٤] التى اتبعها سلفه الإمبراطور فيليب ونظراً لهذا الغضب الشديد بدأ حملته فى اضطهاد الكنائس [٣٥] ، وعلى رأسها كنيسة الإسكندرية[٣٦] ، ومن بين المؤرخين المعاصرين [٣٧] للإمبراطور دقيوس والذين كتبوا عن اضطهاده للمسيحية كان ديونيسوس [٣٨] أسقف كنيسة

---

(28)Ibid., op. cit., VI, 39.

(29) Pat. Southern: The Roman Empire from Severus to Constantine, Routledge, London, 2001, p. 74; Flavius Josephus, op. cit., p. 225.

(30) Paul L. Maier: Eusebius, Eusebius Pamphill, Kregel Publications, 1999, p. 229.

(31) Michael Grant, op. cit., p. 74.

(٣٢) اتبع الإمبراطور دقيوس اضطهاداً منظماً ضد المسيحيون على الرغم من أن مجتمعهم كان لا يزال صغيراً. ومن أبرز ملامح هذا الاضطهاد شهادات إثبات العقيدة الوثنية التى أمر الإمبراطور بحصول كل مواطن فى الإمبراطورية عليها وبخاصة المسيحيين. راجع:

Sarah Lles Johnston: Religions of the Ancient World, Harvard University Press, London, 2004, p. 120; Pat Southern, op. cit., p. 74; Michael Grant, op. cit., pp. 157, 158.

(33) Robert Turcan, Antonina Nevill: The Cults of the Roman Empire, Blackwell Publishing, 1996, pp. 336, 337.

(34)Paul. L. Maier, op. cit., p. 248.

(٣٥) بدأ دقيوس حملته فى الاضطهاد ضد الكنائس فقام بعزل قادة الكنائس.

Pat Southern, op. cit., p. 75;
Michael Grant, op. cit., pp. 157, 158.

(36) Eusebius, op. cit., VI, 39.

(٣٧) عُرف اسم الإمبراطور دقيوس عند الكتّاب المعاصرين والذين كتبوا فيما بعد على أنه الطاغية الكبير. راجع: Pat Southern, op. cit., p. 75.

(٣٨) وُلد ديونيسوس فى أواخر القرن ٢م، وتتلمذ على يد أوريجانوس ثم خلف هراكلاس فى إدارة المدرسة اللاهوتية بالإسكندرية حوالى سنة ٢٣١م، ثم خلفه فى أسقفية الإسكندرية حوالى سنة=

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الإسكندرية والذى كتب فى رسالته إلى فابيوس أسقف أنطاكية ــ وهو ما نقله عنه يوسيبيوس ــ عن الالام التى تكبدها الشهداء فى الإسكندرية فى عهد دقيوس حيث يقول: "لم يبدأ اضطهادنا بصدور الأمر الملكى، بل سبقه بسنة كاملة(٣٩).

إن مخترع ومصدر الشرور فى هذه المدينة، أياً كان قد سبق فحرض وهيّج ضدنا جماعات الأمميين، ونفث فيهم من جديد سموم خرافات بلادهم(٤٠)، وإذ هيجهم بهذه الكيفية، ووجدوا الفرصة كاملة لارتكاب أى نوع من الشر، اعتبروا أن أقدس خدمة يقدمونها لشياطينهم هى أن يقتلونا. فقد كانوا على سبيل المثال يهجمون كلهم بنفس واحدة على بيوت الأتقياء، ويُخرجون منها كل مَنْ أرادوا، وينهبونهم، ويسلبونهم. ويأخذون لأنفسهم كل الأمتعة الثمينة، أما الأمتعة الرخيصة، والمصنوعة من الخشب فكانوا يبعثرونها ويحرقونها فى الشوارع، وبذا تبدو المدينة وكأن عدواً قد غزاها(٤١). على أن الأخوة انسحبوا وغادروا المدينة قابلين سلب أموالهم كأولئك الذين شهد لهم القديس بولس ولست أعرف واحداً إلى الآن أنكر الرب، إلا إن كان أحد قد وقع بين أيديهم، وهذا أمر مشكوك فيه(٤٢).

ويستكمل ديونيسوس استرساله فى وصف الاضطهاد الذى تعرضت له الإسكندرية فى عهد دقيوس قائلاً: "إنه عندما أذيع نبأ تولى دقيوس على عرش الإمبراطور فقد تملكنا خوف شديد(٤٣)، مما هددنا به، لأن الأمر الملكى وصلنا، وكادت الحالة تماثل تلك الحالة المروعة التى سبق أن أنبأ بها الرب، التى تضل لو أمكن المختارين أيضاً(٤٤).

= ٢٤٦م، والمرجح أنه استمر فى إدارة المدرسة بعد ارتقائه للأسقفية وله أعمال كثيرة منها مؤلف "عن الطبيعة" وآخر عن "سفر الرؤيا" وهو من أقوى أعماله. راجع: مرقس داود، تاريخ الكنيسة، ص ٢٨٧.

(٣٩) صدر أمر دقيوس سنة (٢٥٠م)، ولذا فيكون الاضطهاد فى الإسكندرية، بدأ سنة ٢٤٩م. راجع: Pat Southern, op. cit., pp. 74, 75.

(٤٠) فقد أمر بالتضحية من جديد لتماثيل الآلهة والإمبراطور. راجع:

Eusebius, VI, 41; Pat Southern, op. cit., p. 74; Flavius Josephus, op. cit., p. 226.

(41) Eusebius, VI, 41.

(٤٢) Ibid., VI, 41 (عن) العهد الجديد، رسالة إلى العبرانيين، إصحاح ١٠، اية ٣٤.

(٤٣) وقد علق على هذا الاضطهاد الشديد أحد الكتاب المعاصرين وهو لاكتانتيوس (Lactantius) حيث قال: "إن الله سوف يعاقب هؤلاء الذين يعذبون المسيحيون بأشد أداة من تلك الأدوات التى كانوا يعذبونهم بها. راجع:

Donald G. Kyle: Spectacles of Death in Ancient Rome, London and New York, 2001, p. 254; Lactantius, De Mortibus Persecutorum, 50, 7.

(٤٤) Eusebius, VI, 41. (عن) العهد الجديد، أنجيل متى، إصحاح ٢٤، أية ٢٤.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

والواقع أن الجميع انزعجوا، وتقدم(٤٥) فى الحال الكثيرون من البارزين ممن اشتدت بهم حالة الخوف، وانجرف الاخرون بتيار واجباتهم الرسمية، إذ كانوا فى الخدمة العامة(٤٦). والاخرون دُفعوا دفعاً بواسطة معارفهم. ولدى المنادة بأسمائهم اقتربوا من الذبائح الدنسة، وأصفر وجه البعض، وارتعشت فرائصهم، كأنهم كانوا يساقون لا لكى يقدموا ذبائح للأوثان، بل لكى يقدموا هم أنفسهم ذبائح لها. لذلك هزأت بهم الجماهير التى كانت واقفة حولهم، لأنه كان واضحاً لكل واحد إنهم كانوا خائفين(٤٧) من أن يُقتلوا إن لم يذبحوا الأوثان(٤٨).

على أن البعض تقدموا إلى مذابح الأوثان بكل جراة،معلنين إنهم لم يكونوا قط مسيحيين. وعن هؤلاء تصدق نبوءة ربنا بأنهم يعسر خلاصهم(٤٩)أما الباقون فالبعض تبعوا هذه الجماعة، والاخرون تبعوا جماعة أخرى،البعض هربوا والاخرون ألقى القبض عليهم(٥٠)وبعض هؤلاء الاخرين ظلوا مؤمنين حتى القيود والسجون(٥١)، والبعض جحدوا الإيمان قبل تقديمهم للمحاكمة،حتى بعد سجنهم أياماً كثيرة والآخرون تراجعوا بعد أن تحملوا التعذيب وقتاً ما أما أعمدة الرب الثابتون المباركون فإنهم إذ نالوا قوة وقدرة يتناسبان مع الإيمان القوى الذى تمسكوا به،أصبحوا شهوداً رائعين لملكوته(٥٢).

---

(٤٥) أى ليذبحوا للأصنام؛ Michael Grant, op. cit., p. 158.

(٤٦) فقد كان كل موظف حكومى ملزماً بتقديم الذبائح للأصنام لدى قبول فى وظيفته، وكذا فى مناسبات أخرى معينة. وذلك وفقاً للقانون الذى أصدره الإمبراطور دقيوس بحصول كل مواطن على شهادة إثبات العقيدة (Libellus). Sarah Lles Johnston, op. cit., p. 120.

(٤٧) بعض المسيحيون كانوا يطيعون الأوامر الإمبراطورية بدون أن يسببوا مشاكل. راجع:
Pat Southern, op. cit., p. 74.

(48) Marcel Le Glay, op. cit., p. 423.

(٤٩) Eusebius, VI, 41 (عن) العهد الجديد، إنجيل متى، إصحاح ١٩، آية ٢٣.

(50) Sarah Lles Johnston, op. cit., p. 120.

(٥١) ونلاحظ أن السبب فى خوف الإمبراطور دقيوس من هؤلاء المسيحيين أنهم رغم العذاب الذى كانوا يتعرضون له فإنه فى مقابل هذا الاضطهاد كانت أعدادهم تتزايد باستمرار. راجع:
Earle E. Coirns, op. cit., p.91.

(٥٢) Eusebius, VI, 41؛ ونتيجة للظلم الذى تعرض له المسيحيون فى عهد دقيوس فقد انتشر الطاعون فى الإمبراطورية، ودخل القوط فى البلقان. راجع:
Marcel Le Glay, op. cit., p. 419; Christopher S., Mackay, op. cit., pp. 289, 290.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

جـ - الإمبراطور فاليريانوس (٢٥٣- ٢٦٠م):

وفى عهد هذا الإمبراطور(٥٣) يحكى يوسيبيوس فى كتابه عما رواه ديونيسوس أسقف الإسكندرية عن الاضطهاد(٥٤) الذى حدث بوحشية فى عهده(٥٥) (ديونيسوس)، والالام التى تحملها هو وغيره من أجل تقوى إله الكون وكان ذلك فى رسالته التى رد فيها على جرمانوس الأسقف المعاصر له، حيث كتب فيها عن المعاناة التى عاناها هو ومَنْ معه على يد أمليانوس والى مصر الذى تم على يديه الاضطهاد فى الإسكندرية فى عهد كل من الإمبراطور فاليريانوس(٥٦)، وفى هذا الصدد يذكر ديونيسوس قائلاً:

'إننى لم أذهب وحدى إلى أمليانوس، بل ذهب معى زميلى القس مكسيموس والشماسة فوستوس ويوسابيوس وكريمون، ... على أن أمليانوس لم يقل لى فى البداية: لا تعقد اجتماعات، لأن هذا كان أمراً خارجاً عن حدود تفكيره، واخر ما يفكر فيه شخص يطلب إتمام الأمر لأنه لم يكن يبالى باجتماعاتنا، بل كان كل ما يهمه أن لا نكون مسيحيين. وقد أمرنى أن أكف عن أن أكون مسيحياً، ظناً منه بأننى إن تحولت عن المسيحية فسوف يتبعنى الآخرون(٥٧).

ولكن كان رد ديونيسوس عليه رداً واحداً بأنه قال له "إننى ينبغى أن أطيع الله أكثر من المسيحية(٥٨)، وشهدت علانية بأننى أعبد الله الواحد ولا سواه، وأننى لن أتحول عن هذا، ولن أكف عن أن أكون مسيحياً، وعلى أثر ذلك أمرنا بالذهاب إلى قرية قرب الصحراء تُدعى سفرو(٥٩) وهنا نجد أن الوالى فى أثناء محاكمته لديونيسوس ومن معه قال لهم: 'لقد ناقشناكم شفوياً عن الرأفة التى أظهرها نحوكم حكامنا. لأنهم أعطوكم الفرصة(٦٠)لتنجو بأنفسكم إن رجعتم إلى ما يتفق مع الطبيعة، وعبدتم الآلهة التى تحرس إمبراطوريتها،وتركتم ما يخالف الطبيعة بماذا تجاوبون إذن؟ لأننى لا أظن أنكم تتكرون جميلهم نحو رأفتهم بكم طالما كانوا يريدون أن يردوكم إلى طريق أفضل(٦١).

---

(٥٣) قام الإمبراطور فاليريانوس بحملة اضطهاد واسعة ضد الكنائس.

Paul L. Maier, op. cit., p. 292.

(54) Christopher S. Mackay, op. cit., p. 271.

(55) Robert Turcan, op. cit., pp. 336, 337; Pat Southern, op. cit., p. 79.

(٥٦) Eusebius, VII, 11؛ مرقس داود، نفسه، ص ٣١١.

(57) Michael Grant, op. cit., p. 158. ؛Ibid., VII, 11.

(٥٨) Ibid., VII, 11 (عن) العهد الجديد، سفر اعمال الرسل، إصحاح ٥، اية ٢٩.

(٥٩) Ibid., VII, 11 ويبدو أن سفرو كانت فى ليبيا، راجع: مرقس داود، نفسه، ص ٣١٢.

Flavius Josephus, op .cit., p. 234.

(60) Michael Grant, op. cit., p. 165.

(61) Eusebius, VII, 11.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وهنا نلاحظ طريقة الوالى فى عرض المساومة مع رجال الكنيسة لكى ينجوا بأنفسهم ويتركوا أتباعهم وإلا فإنهم سوف يتعرضون لأشد أنواع العذاب[٦٢]، وإن كان يمكن أن نسمى هذه الطريقة طريقة أخرى من أنواع التعذيب وهو التعذيب بالتهديد .ولكن كان رد ديونيسوس عليه كالاتى: "إن كل البشر لا يعبدون كل الالهة، بل كل واحد يعبد مَنْ يستحسنه. لذلك فإننا نكرّم ونعبد الله الواحد بارئ الكل، الذى أعطى الإمبراطورية إلى الجليل الشأن فاليريانوس وجالينوس المنعم عليهما من الله، ونحن نصلى إليه دواماً من أجل إمبراطوريتهما لكى تبقى غير متزعزعة. وعندما أصر ديونيسوس هو ومَنْ معه على موقفهم فإن أمليانوس قال لهم: 'أنا أرى أنكم ناكرو الجميل، وغير شاعرين برأفة حكامنا لذلك لن تبقوا فى هذه المدينة، بل سترسلون إلى أقاليم ليبيا، إلى مكان يدعى سفرو[٦٣]لأننى اخترت هذا المكان كأمر حكامنا، ولن يُسمح لكم ولا لغيركم بأى حال من الأحوال بعقد اجتماعات، أو الدخول إلى مساكنكم. وإن رُؤى أى واحد خارج المكان الذى أمرتم به، أو وُجِد فى أى اجتماع عرّض نفسه للخطر لأننا سوف لا نتردد عن القصاص المناسب. فاذهبوا إلى حيث أمرتم.

ويبدو أن الغرض من ذلك المكان الذى وضعهم فيه أمليانوس بالقرب من الطريق العام فإنه لكى يكونوا أول من يُلقى القبض عليهم بسهولة[٦٤]. وظل الوالى يقتل ويعذب كل مِنْ يقدم للمحاكمة، ولا يسمح لأحد بالاقتراب منهم، وختم ديونيسوس حياته بالاستشهاد بقطع رأسه[٦٥].

وفى النهاية نجد فى رسالة أخرى كتبها ديونيسوس إلى هراكس أحد أساقفة مصر بعد أن عاد (ديونيسوس) من منفاه إلى الإسكندرية وسوء أحوال المدينة نفسها وعدم اهتمام الأباطرة والولاة بهذا الوضع[٦٦]. حيث يذكر قائلاً: "إننى أريد أن أرسل بعض الرسائل لمن هم أخوة يعيشون فى بيت واحد، بنفس واحدة، وأبناء كنيسة واحدة، ولكننى لست أعرف كيف أرسل الرسائل. لأنه أيسر أن يعبر الإنسان لا حدود المملكة فحسب، حتى من الشرق إلى الغرب، عن أن يذهب من الإسكندرية إلى الإسكندرية نفسها، فقلب المدينة شائك جداً، واجتيازه أصعب من اجتياز الصحراء الواسعة المقفرة التى عبرها جيلان من بنى إسرائيل. أما موانئنا الهادئة فقد أصبحت كالبحر الذى انشق، وأصبحت له أسوار، وعبره إسرائيل، وابتُلع فيه المصريون لأنها كثيراً ما بدت كالبحر الأحمر بسبب كثرة القتلى فيها. وأما النهر الذى يجرى بجوار المدينة، فكان يبدو أحياناً أجف

(62)Christopher, S. Mackay, op. cit., p. 290.
(63) Flavius Josephus, op. cit., p. 234.
(64) Flavius Josephus, op. cit., p. 234.
(65) Eusebius, VII, 11.
(66) Ibid., VII, 21.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

من البرية[٦٧]،... وكيف يمكن أن يتطهر الجو وقد تسمم بهذه الأنفاس النجسة؟ فالأبخرة تتصاعد من الأرض، والرياح من البحر، ... ومع ذلك، فالناس يتعجبون، ولا يستطيعون أن يدركوا من أين هذه الأوبئة المستمرة والأمراض الشديدة، والأسقام القاتلة من كل نوع، لماذا لم يعد بهذه المدينة مثل تلك الكثرة من السكان من الأطفال الرضع إلى المتقدمين فى السن، كما كانت تضم من قبل من بين أولئك الذين كانت تدعوهم شيوخاً أقوياء فالرجال من سن الأربعين إلى السبعين كانوا وقتئذ أكثر عدداً جداً، حتى أصبح عددهم الآن لا يوازى السكان من سن الأربعة عشر إلى الثمانين، عند عمل الإحصائية من أجل مؤونة الطعام العامة[٦٨].

وأصبح شكل الأصغر كأنه مساوٍ فى العمر لمن كانوا سابقاً أكبر، ورغم أنهم يرون الجنس البشرى فى تناقص مستمر، ورغم أن حالات الإفناء العامة فى تزايد، فإنهم (يقصد الأباطرة والولاة) لا يرتعبون ولا يقشعرون[٦٩].

٢- فئات المضطهدين فى الإسكندرية وموقفهم من الاضطهاد:

لم يحدد الاضطهاد الذى قام به الأباطرة الرومان تجاه العقيدة المسيحية وأتباعها فى الإسكندرية فئة معينة، أو شريحة معينة بل ذكر يوسيبيوس أنه كان اضطهاداً شاملاً للصغير والكبير، لرجال الدين (النساك) والمواطنين العاديين من المسيحيين حتى أنه لم يفرق بين المرأة والرجل، بين الشاب والشيخ، لدرجة أنه وصل للأطفال فى بعض الأحيان. بالإضافة إلى ذلك نجد أن هذا الاضطهاد لم يفرق فيه الأباطرة بين جنسية وأخرى؛ فقد شمل كل من المصريين واليونانيين على حد سواء[٧٠]. وهو ما ورد ذكره من خلال كتابات يوسيبيوس عن الاضطهاد الذى تعرض له مسيحيو مدينة الإسكندرية وعلى هذا الأساس فإننى يمكن أن أقسم فئات المضطهدين فى الإسكندرية إلى شقين:

---

(67)Flavius Josephus, op. cit., p. 239; Ibid., VII, 21.

(٦٨) Ibid., VII. 21 ؛ راجع أيضاً Flavius Josephus, op. cit., p. 239.

(٦٩) Ibid., VII, 21؛ وفى مقابل كل الالام والمعاناة التى عاشها المسيحيون فى كل مكان، نجد أن الإمبراطورية تعرضت فى هذه الفترة للهجوم من أعدائها من الشرق والغرب، وقد فسر المسيحيون سوء الحظ الذى أصاب الإمبراطورية الرومانية فى هذه الفترة على أنه عقاب من الله. راجع: Robert Turcan, op. cit., p. 337; Christopher S. Mackay, op. cit., p. 270.

(٧٠) ويشير يوسيبيوس إلى كثرة أعداد الشهداء المسيحيين الذين راحوا ضحية الاضطهاد فيقول: "إن السجون أصبحت مزدحمة للغاية بالقادة المسيحيين وأتباعهم، حتى أنه لم يصبح هناك غرفة واحدة فارغة للمجرمين". راجع:

Earle E. Coirns, op. cit., p. 92; Eusebius, II, 17.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

- فئة النساك أو رجال الدين ــ وفئة المواطنين أو الأتباع المسيحيون. وسوف أبدأ بالحديث عن الشق الأول أو الفئة الأولى من المضطهدين (وذلك على حسب ما ورد عند يوسيبيوس فى كتاباته) وهى:

أ- فئة النسّاك أو رجال الدين:

قدم رجال الدين أو(النسّاك)مواقف صامدة تصدوا من خلالها لحملة الاضطهاد التى قادها الأباطرة الرومان ضد العقيدة المسيحية(٧١) فى كل مكان؛وبصفة خاصة فى الإسكندرية التى كانت تمثل مسرحاً لاستشهاد العديد من الأبطال المسيحيين أمام التعذيب الشديد الذى كانوا يتحملونه فى سبيل تمسكهم بعقيدتهم. ومن أمثلة هؤلاء بانتاينوس وليونيديس وديونيسوس وغيرهم كثيرين من رجال الدين(الكنيسة)فى الإسكندرية.

- أما عن بانتاينوس(٧٢) فهو شخص بارز جداً فى مدرسة الإسكندرية بسبب علمه، وإدارته لمدرسة المؤمنين(٧٣) فى الإسكندرية. إذ كانت قد أنشئت بها منذ الأزمنة القديمة مدرسة للتعاليم المقدسة، ولازالت حتى يومنا هذا. وقد أظهر بانتاينوس غيرة شديدة نحو الكلمة الإلهية حتى أنه عين سفراً لإنجيل المسيح للأمم التى فى الشرق(٧٤). وبعد أعمال مجيدة كثيرة رأس بنتاينوس مدرسة الإسكندرية، وفسّر التعاليم الإلهية شفوياً وكتابة.

- كذلك من أشهر رجال الدين الذين راحوا ضحية رسالتهم فى الدعوة للعقيدة المسيحية هو:

---

(71) Flavius Josephus, op. cit., p. 9.

(٧٢) وهو أول مدرس عرف لمدرسة الإسكندرية، وكان من بين تلاميذه كلمنت السكندرى، والإسكندر أسقف أورشليم. Eusebius, V, 10؛ مرقس داود، نفسه، ص ٢١٧؛ منسى يوحنا، تاريخ الكنيسة القبطية، مكتبة المحبة، ص ٢٨.

(٧٣) ويبدو أنها أنشئت أصلاً لتعليم الموعوظين، أى الراغبين فى الدخول إلى الإيمان، ثم اتسعت. وقد لعبت هذه المدرسة دوراً هاماً فى التاريخ الكنسى، وكانت تسمى Catechetical school أى (تعليم قواعد الإيمان بالسؤال والجواب)، وكانت هذه المدرسة تحت إدارة كلمنت وأوريجينيس وهراكلاس وديونيسوس.... إلخ حتى القرن ٤م. راجع: منسى يوحنا، نفسه، ص ٢٤؛ داود مرقس، نفسه، ص ٢١٧.

(74) Eusebius, V, 10.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ليونيديس[٧٥] (Λεωνίδης) المدعو "أبا أوريجينيس" والذى قطعت رأسه بينما كان ابنه لايزال حديث السن، حيث إنه تم القبض عليه عام ٢٠٢م بواسطة جنود الإمبراطور سيفيروس فى أثناء الاضطهاد الذى كان ضد المسيحية فى عهد هذا الإمبراطور، وتعرض للعديد من ألوان التعذيب الشديد حتى انتهت حياته بقطع رأسه عام ٢٠٣م وتبعاً لقوانين الاضطهاد حينئذ ضُمت أملاكه إلى الحكومة فباتت أرملته وأولاده فى فقر مدقع[٧٦].

*** ديونيسوس أسقف كنيسة الإسكندرية:**

كان ديونيسوس من أشهر رجال الدين فى الإسكندرية الذين قدموا أروع الأمثلة على احتمال التعذيب ويشير يوسيبيوس فى كتابه "تاريخ الكنيسة" عن الحوادث التى حلت بديونيسوس نتيجة للاضطهاد الذى تعرض له مثل سابقيه من قِبَل الأباطرة الرومان حيث يقول إنه سوف يقتبس من رسالة ديونيسوس إلى جرمانوس[٧٧] وصف ما حل بالأول فهو كتب ما يلى متحدثاً عن نفسه وعن الاضطهاد الذى تعرض له فى عهد الإمبراطور دقيوس فيقول: "أتكلم أمام الله، وهو سيعلم إذا كنت أكذب، أننى لم أهرب بدافع من نفسى، أو بدون إرشاد إلهى[٧٨] وحتى قبل هذا، فى نفس الساعة التى بدأ فيها الاضطهاد، أرسل سابينوس جندياً للبحث عنى، ولبثت فى البيت أربعة أيام منتظراً قدومه؛ ولكنه تجوّل باحثاً فى كل مكان ــ فى الطرق والأنهار والحقول ــ حيث ظن أننى مختبئ فيها، أو فى الطريق إليها، فطمست بصيرته ولم يجد البيت (بمعنى أنه لم يفكر فى الذهاب للبيت) لأنه لم يخطر بباله أن أبقى فى البيت الذى يجرى فيه البحث عنى (وهذا إن دلّ على شئ فإنما يدل على جرأته الشديدة وقوة إيمانه وعدم خوفه من القبض عليه والتعذيب.

ويستكمل ديونيسوس رواية قصته فيقول "بعد اليوم الرابع أمرنى الله بمغادرة البيت فارتحلت أنا وأتباعى[٧٩]، وبعد ذلك يروى ما حدث له بعد هروبه فيقول، "ونحو غروب الشمس ألقى القبض على مَنْ كانوا معى، وأخذنى العسكر وجرونا بعنف[٨٠]

(75) Ibid., VI, 1.

(٧٦) منسى يوحنا، نفسه، ص ٣٠.

(٧٧) وهو كان أسقفاً لابرشيه غير معلومة، وقد اتهم ديونيسوس بالجبن فى وجه الاضطهاد. راجع: Eusebius, VII, 11؛ مرقس داود، نفسه، ص ٢٨٧؛ Flavius Josephus, op. cit., p. 255.

(78) Ibid., VI, 40.

(٧٩) ربما كانوا من أبنائه أو تلاميذه أو عبيده Eusebius, VI, 40, n. (2)

(80) Ibid., VII, 11.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

إلى تابوسيريس[٨١]. ولكن العناية الإلهية رتبت أن لا يكون تيموثاوس حاضراً ــ ويبدو أنه كان من أحد أتباعه ــ وأن لا يلقى القبض عليه. وإذ أتى فيما بعد وجد البيت مهجوراً يحرسه العسكر وأننا قد أسِرنا.

وبعد ذلك بقليل يقول: "وماذا كان التدبير العجيب الذى دبره؟ لأنه ينبغى ذكر الحق. لقد قابل أحد أفراد الشعب تيموثاوس هارباً ومنزعجاً، وسأل عن سبب استعجاله، فأجابه بالحق كاملاً[٨٢].

ولما سمع الرجل بالأمر (وكان فى طريقه إلى وليمة عرس، لأن العادة جرت أن يصرف الليل كله فى اجتماعات كهذه) دخل وقص الرواية على مَنْ كانوا على المائدة، أما هم فقاموا كلهم بالإجماع ــ كأنهم قد أعطيت لهم إشارة بتدبير سابق ــ واندفعوا إلى الخارج بسرعة، وهجموا علينا بصراخ شديد.

وللحال هرب العسكر الذين كانوا يحرسوننا، أما هم فأتوا إلينا، وكنا مضطجعين على الأرائك عارية.

أما ديونيسوس فقد كان جالساً بثوب كتانى حيث ظنهم لصوصاً فى بادئ الأمر أتوا للسلب والنهب، لذلك بقى كما هو على السرير وقدم لهم باقى ملابسه، لكنهم أشاروا له بالقيام وإتباعهم بسرعة.

وهنا أدرك ديونيسوس سبب مجيئهم فصرخ ورجالهم أن يذهبوا ويتركوهم وحدهم حيث قال "وطلبت إليهم أن يقطعوا رأسى هم أنفسهم، إن سمحوا بتقديم أية خدمة لى، قبل أن يقطع رأسى أولئك الذين ألقوا القبض على، وعندما صرخت بهذه الكيفية، كما يعلم زملائى رفعونى بالقوة فطرحت نفسى على ظهرى إلى الأرض وعندئذ أمسكوا بيدى ورجلى وجرونى. أما شهود كل هذا فهم جايوس وفوستوس وبطرس وبولس[٨٣]. غير أن الذين أمسكونى حملونى خارج القرية بسرعة، واضعين إياى على حمار بدون سرج وأخرجونى بعيداً[٨٤].

---

(٨١) وهى مدينة صغيرة بالقرب من الشاطئ بحوالى (٣٠ ميل) إلى الجنوب الغربى من الإسكندرية. Ibid., VI, 40 n. (3).

(82) Ibid., VI, 40.

(٨٣) وهم كانوا زملاء ديونيسوس فى اضطهاد دقيوس فقد لازمه كل من جايوس وبطرس فى البرية فى ليبيا. Eusebius, VI, 40; VII, 11.

(٨٤) قامت هذه الجماعة التى أنقذته بنقله إلى صحراء ليبيا حيث بقى هناك مع زميلين له وهما جايوس وبطرس حتى انتهى الاضطهاد. راجع: Eusebius, VII, 11.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

كان هذا ما رواه يوسيبيوس على لسان ديونيسوس عن الاضطهاد الذى تعرض له.

* وهناك مثال اخر يرويه يوسيبيوس عن أحد الأشخاص البارزين فى الإسكندرية والذى خلف يوسيبيوس وهو أناطول[٨٥] والذى كان سكندرى المولد، وأقدر علماء عصره فى الفلسفة اليونانية[٨٦]، وغيرها من العلوم الأخرى ولهذا السبب طلب منه أهالى الإسكندرية أن يؤسسس مدرسة بها تدريس الفلسفة أرسطوطاليس. وقد قام بأعمال جليلة فى أثناء حصار حى البروخيوم بالإسكندرية فى أثناء الاضطهاد الذى تعرضت له الإسكندرية حيث يقال أن الخبز قد نفذ من المحاصرين حتى أصبح احتمال العدو من الخارج أيسر من احتمال المجاعة، ولكن أناطول استطاع أن يمدهم بالخبز وذلك بالطريقة التالية، لما كان الجزء الأخير من المدينة متحالفاً مع الجيش الرومانى وبالتالى لم يكن تحت الحصار، فقد أرسل أناطول إلى يوسيبيوس[٨٧] وأعلمه بمن كانوا يهلكون فى الحصار بسبب المجاعة (وكان يوسيبيوس ذو سمعة طيبة عند القائد الرومانى) واستطاع يوسيبيوس أن يوصل الأمر لمجلس الأعيان بالإسكندرية واقترح عقد صلح مع الرومانيين واقترح عليهم أيضاً أن يُخرجوا من المدينة الأشخاص الذين يصبح تسميتهم 'كمالة عدد" والذين ليس من ورائهم أى نفع كالنساء المتقدمات فى السن والأطفال والشيوخ قائلاً: لماذا نبقى بلا مبرر أولئك الذين لابد أن يموتوا سريعاً؟ ولماذا نهلك بالجوع العجزة والمشوهى الأجساد فى الوقت الذى يجب أن نوفر الطعام للشباب والرجال فاقتنع المجلس وتركوا النساء والشيوخ والأطفال وبذلك أنقذهم من الموت جوعاً. وقد رتب أن الذين ينتمون إلى الكنيسة يجب أن ينجوا أولاً[٨٨].

*** بطرس أسقف الإسكندرية:**

ومن بين الشهداء من رجال الدين (الكنيسة) الذين ذكرهم يوسيبيوس يقول: 'كان من بين الذين قتلوا بحالة مجيدة فى الإسكندرية بطرس أسقف الإسكندرية[٨٩]، وهو من أبرز معلمى ديانة المسيح.

كان هذا عن الشق الأول من فئات المضطهدين فى الإسكندرية، وسوف انتقل الآن للحديث عن الشق الثانى وهو:

---

(٨٥) برز بعلمه ورجاحة عقله فى الإسكندرية، وبعد انتهاء حصار الإسكندرية تركها وأصبح مساعد أسقف فى قيصرية. Eusebius, VII, 32.

(86) Flavius Josephus, op. cit., p. 253.
(87) Eusebius, VII, 32.
(88) Ibid., VII, 32.
(89) Ibid., VII, 32; VIII, 13.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ب- فئة المواطنين أو الأتباع المسيحيين:

شملت أيدى التعذيب والاضطهاد الذى كان يمارسه الأباطرة الرومان ضد أتباع العقيدة المسيحية كل فئات المواطنين فى جميع أنحاء الإمبراطورية(٩٠)، وبوجه خاص فى الإسكندرية. فنجد أن جنود الأباطرة لم يفرقوا بين رجل وامرأة أو شاب ومُسن أو فتاة صغيرة حتى أنهم كانوا يقبضون على الأطفال فى بعض الأحيان، كذلك شمل الاضطهاد كل من اليونانيين والمصريين على حد سواء.

وهنا يقدم يوسيبيوس فى كتابه أمثلة عديدة ومتنوعة على كافة الفئات التى تعرضت للتعذيب بسبب تمسكهم بعقيدتهم(٩١)، ويقدم ذلك من خلال ما ورد فى كتابات أحد المعاصرين له وهو ديونيسوس أسقف كنيسة الإسكندرية، فقد وردت عنده إشارات عن العنف(٩٢) الذى تعرض له المسيحيون فى الإسكندرية فى عهد الإمبراطور دقيوس وقدم أمثلة على هذه الحوادث سواء من الشيوخ أو النساء المتزوجات أو العذارى (وهم كن نساء متقدمات فى السن حافظن على عفافهن)، أو الجنود وحتى الأطفال(٩٣).

وعلى سبيل المثال يتحدث ديونيسوس عن رجل متقدم فى السن اسمه متراس(٩٤) أمروه أن ينطق بكلمات كفرية. ولكنه أبى أن يطيعهم، فضربوه وعذبوه، وجروه خارج المدينة.

---

(٩٠) وهناك مدن أخرى كثيرة تعرضت للاضطهاد ورد ذكرها عند يوسيبيوس راجع:
Eusebius, VII, 113; Robert Turcan, op. cit., p. 337.

(٩١) وهناك قلة قليلة من المسيحيين لم يتحملوا التعذيب فاضطروا لطاعة الأوامر الإمبراطورية بدون أن يتسببوا فى مشاكل. راجع:
Pat Southern: The Roman Empire from Severus to Constantine, Routledge, 2001, p. 74; Marcel Le Glay, op. cit., p. 423.

(٩٢) ورد فى إحدى خطابات ديونيسوس السكندرى لدوميتيوس (Domitius) وديديموس (Didymus) عن الأحداث العنيفة التى تعرض لها المواطنون فى أثناء الاضطهاد فى الإسكندرية فقال: "إنه يريدهم أن يعرفوا فقط أن الرجال والنساء، الأطفال والبطاركة، الفتيات والنساء العجائز، الجنود والمواطنين، كل جنس وكل عُمر البعض كان يعانى من التعذيب بالنار وآخرون بالسيف وكلهم جاهدوا واستشهدوا. راجع: Flavius Josephus, op. cit., p. 234.

(٩٣) Eusebius, II, 17؛ ويشير يوسيبيوس إلى أن المسيحيين ضربوا أروع الأمثلة فى الثبات أمام الاضطهاد والتعذيب والاستشهاد فى سبيل عقيدتهم حتى أن دمائهم أصبحت 'بذور لنمو الكنيسة" كما أشار ترتلليانوس إلى ذلك. راجع: Flavius Josephus, op. cit., p. 9.

(94) Eusebius, VI, 41.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

كذلك هناك مثال آخر عن امرأة مؤمنة اسمها كوينتا[٩٥] حملها الجنود إلى هيكل صنمهم لعلهم يجبرونها على عبادته ولما استقبحت الأمر قاموا بتعذيبها حتى ماتت.

ومثال ثالث عن عذراء تُدعى أبولونيا[٩٦]، وهى سيدة متقدمة فى السن قام الجنود بالقبض عليها وتعذيبها حتى الموت علها ترجع عن إيمانها.

وكذلك هناك جندى مصرى يُدعى بيساس[٩٧]، عندما اعترض على طريقة التعذيب التى كان يتعرض لها المسيحيون صاح الجنود فى وجهه، وحوكم هذا الجندى وقُطِعت رأسه بعد أن وقف موقفاً نبيلاً فى النضال من أجل التقوى.

وهناك نموذجاً اخر يوضح ديونيسوس من خلاله كيف أن التعذيب شمل كافة المواطنين يونانيين أو مصريين، ووصل إلى الأطفال فيقول: "وقد أسلم المصريون هيرون (Ἡρων)، وآتر (Ἀτῆρ)، وايزيدوروس (Ἰσιδωρος)، ومعهم ديوسقوروس (Διόσκορος) وهو صبى[٩٨] عمره نحو خمس عشرة سنة. حاول القاضى فى البداية أن يضلل الصبى بكلمات معسولة كأنه كان من الميسور التأثير عليه بسهولة، ثم يضغط عليه بالتعذيب ظاناً أنه من الميسور أن يستسلم بسهولة. ولكن ديوسقوروس الصبى لم يقتنع ولم يستسلم" ، وإن لبث الباقون (يقصد مَنْ تم القبض عليهم مع الصبى) ثابتين قام بجلدهم بوحشية، ثم أسلمهم للنيران، ولما أعجب بالطريقة التى أبرز بها ديوسقوروس نفسه جهاراً،وبأجوبته الحكيمة تلقاء الإغراءات التى قدمت له،طرده قائلاً إنه سيعطيه فرصة للتوبة نظراً لحداثة سنه، ولا يزال ديوسقوروس التقى هذا بيننا الآن،فى انتظار اضطهاد أطول وتعذيب أشد"[٩٩]. وهنا نستنتج من ذلك أن أتباع العقيدة المسيحية لم يكونوا ضعاف فى إيمانهم، وهو ما لم يستطع الأباطرة ولا جنودهم منعه أو التصدى له حيث كان إيمانهم أقوى من تعذيب الأباطرة[١٠٠].

---

(95) Ibid., VI, 41.
(96) Ibid., VI, 41.
(97) Ibid., VI, 41.
(98) Ibid., VI, 41.
(99) Ibid., VI, 41.

(١٠٠) كان الأباطرة يعتبرون المسيحيون الذين يرفضون الاعتراف بالآلهة الوثنية أعداءاً للدولة، ومذنبين بكل الجرائم، وأعداءاً للآلهة، والأباطرة، والقوانين والأخلاق الحميدة، وحتى أعداء للطبيعة. راجع:

Confield, Lean Hardy: The Early Persecutions of The Christians, Columbia University Press, New York, 2005, p. 24.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وهناك مثال على ذلك قدمه يوسيبيوس على لسان ديونيسوس يقول فيه: "واتهم شخص اخر اسمه نمسيون[١٠١] وهو مصرى أيضاً،بأنه ينتمى لعصابة لصوص. ولما برأ نفسه أمام قائد المئة من هذه التهمة البعيدة عن الحق كل البعد، وشى بأنه مسيحى،وأخذ فى القيود أمام الوالى أما ذلك الوالى الظالم فقد حكم عليه بتعذيبات وجلدات ضعف ما كان يحكم به على اللصوص ثم أحرقه بين لصين، وكان وقفاً أمام جماعة من الجند هم آمون وزينون وبطلميوس ومعهم رجل متقدم فى السن اسمه ثيوفيلوس، وإذ ظهر أن شخصاً معيناً يحاكم كمسيحى كان على وشك إنكار الإيمان، أصروا على أسنانهم، وأشاروا بوجوههم،ومدوا أيديهم،وحركوا أجسادهم، وعندما اتجهت أنظار الجميع إليهم، وقبل أن يُلقى أى واحد الأيدى عليهم، اندفعوا نحو المحكمة قائلين أنهم مسيحيون،حتى انزعج الوالى هو ومجلسه فازدادت شجاعة الذين كانوا يحاكمون، ولم يرهبوا الآلام،أما قضاتهم فارتعدت فرائصهم وهكذا خرجوا من المحاكمة فرحين بشهادتهم[١٠٢]".

وأخيراً يقدم يوسيبيوس مثالاً (نموذجاً) يوضح من خلاله أن الاضطهاد لم يفرق حتى بين الأغنياء أصحاب المراكز وبين الفقراء فيقول: 'إن الذى يدعو إلى الدهشة أولئك الأشخاص الذين يمتازون بسبب ثرواتهم أو مراكزهم أو علمهم أو فلسفتهم، ومن بين هؤلاء فيلوروموس (φιλόρομος) [١٠٣] الذى كان يشغل مركزاً ممتازاً فى الحكومة الإمبراطورية بالإسكندرية[١٠٤]، والذى كان يُجرى العدل كل يوم. وكان يحف به حرس حربى كما يليق بمقامه ومركزه الرومانى الرفيع وكذا فيلياس أسقف كنيسة ثموتيس[١٠٥] (θμουιτων) وهو رجل اشتهر بمحبته لوطنه، وعلومه الفلسفية. ورغم أن الكثيرين من أقارب هذين الشخصين وأصدقائهما، والكثير من ذوى المناصب الرفيعة، بل والقاضى نفسه، رجوهما بإلحاح أن يشفقوا على نفسيهما ويرحما أولادهما وزوجتيهما إلا أنهما لم تؤثر فيهما كل هذه التوسلات ليختارا الحياة ويحتقرا إيمانهما. ولكنهما ثبتا أمام تهديدات وإهانات القاضى، بكل بسالة وعزم، وأخيراً قُطعت رأس كل منهما.

(101) Eusebius, VI, 41.
(102) Ibid., VI, 41.
(103) Flavius Josephus, op. cit., p. 267; Ibid., VIII, 9.

(١٠٤) ويقال أنه كان وزير المالية فى مصر. مرقس داود، نفسه، ص ٣٦١.

(١٠٥) وقد كانت ثمويتيس (Thmuis) مدينة مشهورة فى الوجه البحرى، أما فيلياس فكان من أقدر رجال الكنيسة. راجع: Flavius Josephus, op. cit., pp. 267, 268.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وفى النهاية فإن يوسيبيوس يوضح من خلال ما قدمه من أمثلة ونماذج عن الاستشهاد والبسالة التى قدمها المسيحيون بسبب تمسكهم بإيمانهم ضد اضطهاد الأباطرة، أن كل هذه الأحداث المأساوية التى تعرضت لها المسيحية تحولت فى النهاية إلى نصر لها(١٠٦).

٣- طرق وأدوات التعذيب:

لم يترك جنود الأباطرة الرومان وسيلة من الوسائل المتبعة فى التعذيب إلا واستخدموها فى اضطهادهم للمسيحيين وهنا نجدهم لم يكتفوا بالطرق التقليدية فى التعذيب ولكنهم تفننوا فى اختراع طرق أخرى أشد قسوة ووحشية(١٠٧) ليستخدمونها فى الضغط على هؤلاء المسيحيين(١٠٨)، حتى يرجعوا عن عقيدتهم، ولم يفرقوا فى استخدامهم لهذه الطـــرق بين رجل وامرأة أو صغير وكبير، كما كانوا يستخدمون أدوات حادة قاتلة فى تعذيبهم(١٠٩).

وفى مقابل كل هذا التعذيب قدم المسيحيون حسبما يذكر يوسيبيوس مواقف على قدر كبير من الصلابة أمام جنود الأباطرة الرومان فى سبيل حفاظهم على عقيدتهم حتى من كان يضعف منهم فسرعان ما كان يرتد إلى صوابه مرة أخرى ويطلب الاستغفار قبل أن يموت. وفى هذا الصدد يقدم يوسيبيوس أمثلة كثيرة ومتنوعة على الالام التى تعرض لها الشهداء فى الإسكندرية فى عهد الإمبراطور دقيوس، وذلك من خلال أحد المعاصرين له وهو ديونيسوس.

وأول هذه الأمثلة هو مثال قدمه على رجل متقدم فى السن اسمه متراس(١١٠) عندما ألقى جنود الإمبراطور القبض عليه، وأجبروه على أن يعترف بآلهتهم ويرتد عن

(106) Flavius Josephus, op. cit., p. 10; Jonathan Harris, Byzantine History, Polgroave Macmillan, 2005, p. 143.

(١٠٧) وهناك أمثلة كثيرة على التعذيب الذى تعرض له المسيحيون فى جميع أنحاء الإمبراطورية غير الإسكندرية. راجع: Donald G. Kyle, op. cit., p. 252; Eusebius, VIII, 6.

(١٠٨) كانت حلبات المصارعة كساحات للقتل يتم تعذيب المسيحيين فيها بكافة الطرق ثم إلقائهم للوحوش أمام المتفرجين من عامة الناس. راجع: Donald G. Kyle, op. cit., p. 14.

(١٠٩) وقد وصلت درجة التعذيب بالمسيحيين بأن الوالى كان يقوم بتجميعهم من منازلهم ويعتقلهم ثم يقوم بسجنهم فى ساحة وكان يقوم المشاهدين بعضّهم بأسنانهم وهنا يقصد بهم الناس أكلى لحوم البشر وهنا يشير الكاتب بأن هذه الفئة من الناس كانت تتصرف بعنف وكراهية شديدين وهم كانوا مكروهين فى المجتمع. راجع:
Plass, P.: The Game of Death in Ancient Rome: Arena Sport and Political Suicide, University of Wisconsin, Madison, 1995, p. 144.

(110) Eusebius, VI, 41.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

عقيدته، ورفض الامتثال لأوامرهم اتبعوا معه أشد طرق التعذيب حيث ضربوه بالهراوات، ومزقوا وجهه وعينيه بعصا حادة، وجرّوه خارج المدينة ورجموه.

كذلك هناك مثال اخر على امرأة مؤمنة اسمها كوينتا[١١١] رفضت أن تمتثل للاوامر وأن تصلى أمام تمثال الإمبراطور فأوثقوا رجليها، وجروها فى كل المدينة على الشوارع المرصوفة بالحجارة، ورضضوا جسمها فوق حجارة الطاحون، وفى نفس الوقت جلدوها، وبعد ذلك رجموها حتى فاضت روحها[١١٢].

وهناك مثال آخر على تلك العذراء أبوللونيا[١١٣]؛ وهى سيدة متقدمة فى السن بعد أن ألقوا القبض عليها، ضربوها على فكيها، فكسروا أسنانها، وأوقدوا ناراً خارج المدينة هددوها بالحرق حية إن لم تشترك معهم فى هتافاتهم الكفرية، وبعد صلاة قصيرة قفزت بحماسة إلى النار فاحترقت. وهذا يدل على مدى قوة إيمانها حيث أن كل هذا التعذيب لم يردها عن إيمانها.

وبالإضافة إلى تلك الأمثلة فهناك شخص يدعى سرابيون[١١٤] القى الجنود القبض عليه وعذبوه بقسوة ووحشية، وبعد أن كسروا كل أطرافه طرحوه من طابق عالى.

ومن أشهر الشهداء المسيحيين الذين قدموا موقفاً مثالياً فى الثبات على إيمانهم، وهو يوليانوس[١١٥] والذى كان يشكو كثيراً من داء المفاصل حتى عجز عن الوقوف أو المشى. ثم حملوه على جمل، وفى هذا الوضع المرتفع تم ضربه، وأخيراً أحرق بالنار أمام عامة الناس.

ومن الأشخاص المشهود لهم بقوة إيمانهم وثباتهم شخص يُدعى مقار[١١٦] وهو ليبى المولد، فهو عندما رفض الرجوع عن إيمانه أحرق بالنار حياً. ومعه شخص اخر اسمه بيماخوس واخر يُدعى الإسكندر وهما بقيا فى القيود لمدة طويلة، وتحملا الاماً لا تحصى بالمقشطة[١١٧]، والجلدات، ثم أحرقا فى نار متلظية.

---

(111)Ibid., VI, 41.
(112) Ibid., VI, 41.
(113) Ibid., VI, 41.
(114) Ibid., VI, 41.
(115)Ibid., VI, 41.
(116) Ibid., VI, 41.
(١١٧) وهى آلة كانت تمر فوق الجسم فتمزقه. راجع: داود مرقس، نفسه، ص ٢٩١.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ويستكمل يوسيبيوس حديثه فى تقديم الأمثلة على طرق وأدوات التعذيب التى اتبعها الأباطرة ضد المسيحيين فيقول:

"هناك اخرون كثيرون فى المدن والقرى، مزقهم الوثنيون إرباً، سأتحدث عن واحد فقط كممثل للباقين. كان أسخيرون[١١٨] يعمل كوكيل لأحد الحكام. ولما أمره رئيسه أن يذبح للأوثان رفض، فأهانه رئيسه، ولما ظل ثابتاً فى رفضه أساء إليه. ولما استمر فى ثباته أمسك عصا طويلة ودفعها فى أحشائه وقتله.

ويستشهد يوسيبيوس عن الحوادث والآلام التى تعرض لها شهداء الإسكندرية بما كتبه فيلياس الشهيد[١١٩]، والذى قام بوصف دقيق عن الاستشهادات التى حدثت فى عصره فى الإسكندرية، حيث يقول عن الشهداء: "وأية كلمات تستطيع وصف شجاعتهم وبسالتهم وسط كل تعذيب؟ وإذ أعطيت الحرية لكل من أراد الإساءة إليهم كان البعض يضربونهم بالعصى، والآخرون بهراوات، والآخرون بجلدات، والبعض بكرابيج، وآخرون بحبال"[١٢٠].

أما النظارة (يقصد من كانوا يقفون ويشاهدون مظاهر التعذيب من العامة) فقد اختلفت درجة هياجهم، والكل أظهروا سخطاً شديداً. وكان البعض يُشدون على الدهق[١٢١]؛ وقد أوثقت أيديهم خلفهم، وكل عضو يشد بالة خاصة. بعد ذلك يؤمر الجنود بتمزيق كل أجسادهم بآلات التعذيب، ليس فقط جنبهم كما هو مع القتلة، بل أيضاً بطونهم وركبهم وخدودهم. والآخرون كانوا يُرفعون إلى فوق ويُعلقون من إحدى أيديهم، فيقاسون الأهوال المروعة وذلك بجذب أطرافهم ومفاصلهم. وغيرهم كانوا يوثقون إلى الأعمدة دون أن يستقروا على أقدامهم، بل كان ثقل كل أجسادهم يعلق على القيود التى رُبطوا بها والتى كانوا يحكمون ربطها جيداً[١٢٢].

كل هذه الالام قاسوها، لا فى الفترة التى كان الحاكم يتحدث معهم فيها، بل طوال النهار. لأنه إن كان يجتاز إلى غيرهم كان يترك الأولين لحراسته موظفين تحت سلطته، لكى يراقب إن كان أحدهم قد انغلب من التعذيب وبدت عليه علامات التسليم. ثم أنه كان يأمر بأن يوثقوا فى سلاسل بلا رحمة، وعندما يصلون إلى النفس الأخير

---

(118) Eusebius, VI, 41.

(١١٩) Ibid., VIII, 10؛ وكان فيلياس له شهرة عظيمة فى العلوم العالمية.

(120) Ibid., VIII, 10.

(١٢١) Ibid., VIII, 10؛ والدهق هو خشبتان فيهما ثقوب يقمط بهما على ساقى المذنب. داود مرقس، نفسه، ص ٣٦٢.

(122) Ibid., VIII, 10.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

كانوا يطرحون على الأرض ويخرجون خارجاً[١٢٣]. لأنه أمر بأن لا توجه إلينا (يقصد المسيحيون) أية عناية قط، بل كانوا يفكرون ويتصرفون كأنه لا وجود لنا بعد. وهكذا اخترع أعداؤنا هذا النوع من التعذيب علاوة على الجلد[١٢٤].

وبعد هذه الثورات كان يوضع البعض على الدهق، وتمد قدما الواحد فى الثقوب الأربعة حتى يضطر للرقاد على ظهره فوق الدهق، وهو عاجز عن الانتصاب بسبب الجروح الجديدة التى غطت كل جسده نتيجة الجلد. والآخرون كانوا يلقون على الأرض فينالون أقصى أنواع التعذيب، فيرى المتفرجون مظاهر قسوة أشد هولاً، إذ كانوا يحملون فى أجسادهم علامات التعذيب المختلفة التى اخترعوها[١٢٥].

ويذكر يوسيبيوس طرقاً أخرى من التعذيب اتبعها الجنود الرومان ضد المسيحيين فيقول: "وتحمل الاخرون على بطونهم وأعضائهم السرية تعذيبات مخجلة قاسية لا يمكن ذكرها اخترعها القضاة كمظاهر للحكمة، وهى لم تظهر إلا قسوتهم. ثم إنهم كانوا بصفة مستمرة يبتدعون أنواعاً جديدة من التعذيب، كأنهم كانوا يحاولون ربح جوائز فى السباق بمنافستهم بعضهم لبعض[١٢٦].

كذلك من الأدوات التى كانت تستخدم فى التعذيب هى الفأس والتى كانت تستخدم فى القتل واخرون كانت تشوّه أجسادهم بقطع أنوفهم واذانهم وأيديهم، ثم تقطيع باقى أعضاء جسمهم إرباً ، وكان من الطرق الجديدة التى استعملها الرومان فى التعذيب هى الماء، وضرب مثالاً على ذلك التعذيب الذى تعرّض له أخو يوسيبيوس فى الإسكندرية وذلك لأن الإسكندرية كانت تطل على البحر لذلك استعملوا الماء كأحد طرق ووسائل التعذيب والإعدام فقد كان هؤلاء الجنود يدفنون الأشخاص أحياء ثم يلقون بهم فى البحر بعد أن يربطوا أحجاراً ثقيلة حول أعناقهم[١٢٧].

---

(١٢٣) Ibid., VIII, 10؛ تحمل المسيحيون أشد أنواع التعذيب وفى النهاية كانوا يُسحبون للسجون. راجع: Donald G. Kyle, op. cit., p. 249.

(١٢٤) Ibid., VIII, 10؛ وعن أدوات التعذيب راجع: Donald G. Kyle, op. cit., p. 252.

(١٢٥) Ibid., VIII, 10؛ وبالإضافة لذلك فإن يوسيبيوس يذكر أن المسيحيين كانوا يدخلون فى حلبات المصارعة والمسارح والسيرك مع المصارعين والجلادين وهم كان يتم اختيارهم من العبيد المسجونين أو المحكوم عليهم من أسيادهم وغيرهم من العبيد. راجع:
Bauman, R. A.:Crime and Punishment in Ancient Rome,Routledge,London,1996,pp. 122- 123.

(126) Eusebius, VIII, 12.

(127)Lactantius, De Mort Pers, 15. 3, Eusebius, VIII, 12, 4-5; Donald G. Kyle, op. cit., p. 252.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

أما عن النساء فقد قدمن مواقف مثالية فى الثبات ضد التعذيب حتى يذكر يوسيبيوس على لسان ديونيسوس أن هناك أربع من النساء وهن أموناريوم[١٢٨]، وهى عذراء عفيفة، عذبها القاضى بلا هوادة ولا رحمة، لأنها حرصت منذ البداية على أن لا تنطق بأية كلمة مما أمرها به، وإذ بقيت أمينة لعهدها جروها خارجاً. والأخريات هى مركوريا، وهى امرأة مشهورة جداً متقدمة فى السن، وديونيسيا، وكانت أماً لأبناء كثيرين، لم تحب أبنائها أكثر من الرب. ولأن الوالى خجل من أن التعذيب كان بلا جدوى ولأن النساء كن دوماً ينتصرن عليه، فقد قتلن بالسيف دون محاولة التعذيب، لأن البطلة أموناريوم تحملت التعذيب عوضاً عن الجميع[١٢٩].

كذلك يذكر يوسيبيوس مثالاً رائعاً عن امرأة محتشمة وأخريات عذراوات عندما رفضوا طاعة لأوامر حوّلها القاضى إلى قوّاد، وفضلت هذه المرأة أن تُعدم خوفاً من تهديد الجنود لها بالزنا والفسق[١٣٠].

وأخيراً يروى يوسيبيوس قصة كتبها ديونيسوس السكندرى فهو يحكى عن أشخاص أنهكهم العذاب ولكنهم بعد أن وافقوا على ترك عقيدتهم، ندموا وأرادوا التوبة ومن هؤلاء على سبيل المثال يقدم ديونيسوس شخص اسمه سرابيون[١٣١]، وهو مؤمن متقدم فى السن، عاش زمناً طويلاً بلا لوم، لكنه سقط فى التجربة، ولقد توسل كثيراً، ولكن لم يلتفت إليه أحد لأنه ذبح للأوثان، فاعتراه مرض، وفقد النطق والوعى ثلاثة أيام متتالية، وإذ تحسنت صحته قليلاً فى اليوم الرابع أرسل إلى ابن ابنته قائلاً: إلى متى تعوقوننى يا ابنى. أتوسل إليك أن تعجل وتحلونى بسرعة. ادع لى أحد القسوس. ولما قال هذا فقد النطق ثانية فركض الصبى إلى القس ، وكان الوقت ليلاً، والقس مريضاً، فلم يقدر أن يأتى. ولأننى كنت قد أمرت بأن الأشخاص الذين على حافة الموت يجب أن تعطى لهم المغفرة إن طلبوها، سيما إن كانوا قد طلبوها من قبل، لذلك أعطى الصبى جزءاً صغيراً من سر الأفخارستيا، وقال له أن يغمسه ويدع النقط تسقط فى فم الرجل الشيخ[١٣٢].

فعاد به الصبى، وإذ اقترب، وكان لم يدخل بعد، تحرك سرابيون ثانية وقال: لقد أتيت يا بنى ولم يقدر القس أن يأتى. ولكن افعل بسرعة ما أمرك به ودعنى انطلق. عندئذ غمسه الصبى وجعل النقط تسقط فى فمه. وإذ بلع قليلاً أسلم الروح فى الحال.

(128) Eusebius, VI, 41.
(129) Ibid., VI, 41.
(130) Donald G. Kyle, op. cit., p. 252; Ibid., VIII, 5.
(131) Ibid., VI, 44.
(132) Ibid., VI, 44.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وهنا يتساءل ديونيسوس قائلاً: "أليس واضحاً أنه قد بقى حياً حتى نال الحل. وإذ مسحت خطيته أمكن الاعتراف به بسبب الأعمال الصالحة الكثيرة التى فعلها؟" (١٣٣).

ومن هنا يمكن أن نستنتج من كلام يوسيبيوس أن المؤمنين المسيحيين مهما اشتد عليهم التعذيب(١٣٤)،واضطروا إلى الاعتراف بترك عقيدتهم ــ على أن هناك التماس اخر حيث أن مَنْ ارتد عن عقيدته كان شيخاً كبيراً فى السن ولم يتحمل التعذيب الشديد ــ ولكنهم على الرغم من ذلك وفى النهاية فإنهم لا يقبلون أن يموتوا قبل أن يستغفروا ويُشهدوا الناس على ذلك، ويعودوا إلى إيمانهم مرة أخرى حتى يموتوا وهم على دينهم.

ومن جانب آخر فإن ذلك يدل على مدى سماحة الدين المسيحى الذى يقبل توبة التائبين والمرتدين عن عقيدتهم ويغفر لهم ويدخلهم فى الدين مرة أخرى.

وفى النهاية فإن ديونيسوس يُجمل قوله عن التعذيب والاضطهاد الذى تعرض له المسيحيون قائلاً: نظراً لأن شعبنا كثيرون وغير معروفين لكما، فمن باب تحصيل الحاصل أن أذكر أسماءهم ولكن أعلما أن الرجال والنساء، الصغار والكبار، الخادمات والسيدات، الجند والمدنيين، من كل جنس وعمر، انتصروا فى جهادهم ونالوا أكاليلهم، البعض بالجلد والنار، والآخرون بالسيف(١٣٥).

---

(133) Ibid., VI, 44.

(١٣٤) وقد بلغت قسوة التعذيب لدرجة أن جنود الإمبراطور كانوا يضعون المسيحيون على مقاعد حديدية ساخنة حتى يشوون لحومهم، وكان يتفرج عليهم الجماهير، وهم يتلقون أشد ألوان العذاب طوال اليوم، ثم بعد ذلك يشنقون ويتركون للحيوانات المفترسة لتأكلهم. راجع:
Donald G. Kyle, op. cit., p. 249.

(١٣٥) Eusebius, VII, 11؛ وبعد الانتهاء من كل هذه الطرق كانوا يُلقون للوحوش الضارية أمثال الدببة والنمور والخنازير البرية، ولكن ما يدعو للدهشة هو أن تلك الوحوش لم تكن تقترب من هؤلاء المسيحيين. راجع: Wiedemann T.: Emperors and Gladiators, Routledge, London, 1992, p. 89; Donald G. Kyle, op. cit., p. 186; Earle E. Coirns, op. cit., p. 92.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الخاتمـــــــة

فى النهاية يتضح الهدف من هذا البحث، وهو إظهار الحوادث والاضطهادات التى تعرضت لها العقيدة المسيحية فى الإسكندرية، وبخاصة كنيستها والتى لاقى أتباعها أشد أنواع التعذيب وأقساها من جنود الأباطرة الرومان.

فقد أقام الأباطرة الرومان حملة اضطهاد عنيفة ضد العقيدة المسيحية فى جميع أنحاء الإمبراطورية وبوجه خاص فى الإسكندرية،وهو ما أشرت إليه فى المحور(العنصر الأول)حينما تحدثت عن الأباطرة الرومان الذين تم فى عهدهم اضطهاد المسيحية فى الإسكندرية،وكان من أول هؤلاء الأباطرة هو الإمبراطور سيفيروس الإسكندر والذى أثار جنوده الرعب فى مدينة الإسكندرية محاولين أن يردوا هؤلاء المسيحيين عن إيمانهم،وتبعه فى هذا المجال الإمبراطور دقيوس الذى أقام جنوده المذابح فى الميادين العامة وحاولوا بشتى الطرق أن يغيروا إيمان أتباع هذه العقيدة(المسيحية)ومن بعده الإمبراطور فاليريانوس وتوصلت من خلال هذا العنصر أن كل هؤلاء الأباطرة كان هناك هدف واحد يجمعهم من وراء هذا الاضطهاد للمسيحية وأتباعها،وهو خوفهم من انتشار المسيحية وزيادة إتباعها فى جميع أنحاء الإمبراطورية وهو ما كان يهدد ــ من وجهة نظرهم ــ السياسة العامة للإمبراطورية من ناحية وعبادة الإمبراطور من ناحية أخرى.

أما عن العنصر (المحور) الثانى فقد ظهر من خلاله أن الاضطهاد الذى قام به الأباطرة شمل كافة فئات المواطنين فهو لم يفرق بين جنسية أو جنسية بمعنى أنه شمل الرجل والمرأة، المسن والشاب، حتى وصل إلى الأطفال فى بعض الأحيان، كما أنه لم يميز بين رجال الدين (النساك) والمواطنين العاديين البسطاء، وما توصلت له من هذا العنصر هو أنه على الرغم من قسوة التعذيب وشدته إلا أن كل المسيحيين على كافة أجناسهم وجنسياتهم تجمعوا على موقف واحد وهو الثبات على إيمانهم ضد هذا التعذيب حيث أن هذا التعذيب، حسبما يذكر يوسيبيوس، لم يستطع أن يحيدهم عن إيمانهم حتى من كان يضعف منهم لسبب ما بسبب مرض أو كِبَر فى السن وكان يضطر للاعتراف برجوعه عن إيمانه حتى يتوقف التعذيب، فسرعان ما كان يستغفر عن فعلته ويعود إلى إيمانه مرة أخرى ويموت على دينه.

أما العنصر (المحور) الثالث، فقد تعرضت فيه لوسائل وأدوات التعذيب التى كان الأباطرة وجنودهم يمارسونها مع هؤلاء المسيحيين بل إن الأباطرة لم يكتفوا بإتباع الطرق التقليدية فى التعذيب وإنما كانوا يخترعون طرقاً ووسائل أخرى فى التعذيب أشد قسوة من الطرق العادية، حتى يُجبروهم (المسيحيين) على ترك عقيدتهم وينذروهم بالمصير الذى سيلاقونه (سيتعرضون له) إذا لم يرتدوا عن دينهم، فكانوا يعذبونهم بالحرق أو بالجلد أو بالسيف أو بالماء حيث كانوا يربطونهم بأحجار ثقيلة ويُلقون بهم

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

فى البحر. ولكن فى مقابل كل هذا التعذيب كان المسيحيون يصمدون أمامه، وهو ما توصلت له من خلال هذا العنصر. بل وكان يزداد أعدادهم ويزداد انتشار المسيحية كلما ازداد ضغط الأباطرة واضطهادهم لهم، حتى اضطر الأباطرة التاليين إلى إتباع سياسة أخرى غير الاضطهاد والتعذيب وهى سياسة التسامح معهم ومحاولة التعايش سوياً فى سلام، وذلك لأن أحوال الأباطرة ساءت وتعرضت للكثير من الهجمات البربرية على حدودها فاضطرت أن تتبع سياسة السلام فى داخل الإمبراطورية حتى تستطيع مواجهة الأخطار الخارجية التى كانت الإمبراطورية قد بدأت تتعرض لها.

قائمة بالمصادر:

- الكتاب المقدس (العهد القديم والجديد).

- Eusebius:Historia Ecclesiastica,L.C.L.(translated by:Kirsop Lake)

- Lactantius: De Mortibus persecutorum, (ed. and translation by: J. L. Creed, Oxford Early Christian Texts, Oxford: Clarendon Press, 1984.

مراجع باللغة العربية:

- مرقس داود، تاريخ الكنيسة، مكتبة المحبة، ط ٣، ١٩٩٨.

- منسى يوحنا، تاريخ الكنيسة القبطية، مكتبة المحبة، بدون تاريخ.

مراجع بلغة أجنبية:

- Bauman, R. A., Crime and Punishment in Ancient Rome, Routledge, London, 1996.

- Christopher S. Mackay, Ancient Rome (A Military and Political history), Cambridge University Press, 2007.

- Confield, Leon hardy, The Early Persecutions of the Christians, (Columbia University Press, New York, 2005).

- Donald G. Kyle, Spectacles of Death in Ancient Rome, London and New York, 2001.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

- Earle E. Coirns, Christianity Through the Centuries: A History of the Christian Church, Zondervon Publishing, 1996.

- Flavius Josephus, The New Complete Works of Josephus, (translation by: William Whiston), Kregel Publications, 1999.

- Jonathan Harris, Byzantine History, Polgrave Macmillan, 2005.

- Marcel Le Glay, A History of Rome, 3ed., Blackwell Publishing LTD., 2005.

- Michael Grant, The Roman Emperors (A biographical Guide to the Rulers of Imperial Rome (31 B. C.- A. D. 476), Phoenix Press, London, 1997.

- Pat. Southern, The Roman Empire from Severus to Constantine, Routledge, London, 2001.

- Paul L. Maier, Eusebius, Eusebius Pamphill, Kregel Publications, 1999.

- Plass, P., The Game of Death in Ancient Rome: Arena Sport and Political Suicide, University of Wisconsin, Madison ,1995.

- Robert Turcan, Antonina Nevill, The Cults of the Roman Empire, Blackwell Publishing, 1996.

- Sarah Lles Johnston, Religions of the Ancient World,Harvard University Press, London,2004.

- Wiedmann T.,Emperors and Gladiators,Routledge,London,1992.

المنارة للاستشارات

www.manaraa.com